الفصل الخامس

العصر العتيق
الأسرتان الأولى والثانية

obeikandl.com

obeikandl.com

العصر العتيق (١)

سواء أكان توحيد مصر لأول مرة قد تم على يد الملك مينا أو ربما الملك نعرمر، فإن هذا الملك الأول لمصر الموحَّدة، كان يدرك أن هناك «مِصْرَيْن» متمثلتين فى الوجهين البحرى والقبلى، وقد قام بفرض نفسه ملكاً على هذين الوجهين، وبالتالى فقد أصبحت شخصيته الملكية تتضمن فى ذاتها قوتين متعارضتين. ولكنه استطاع مع ذلك أن ينتج من هذه «الثنائية» أو الازدواجية نظاماً موحداً يقوم جوهره على عملية اعادة التنظيم أكثر مما يقوم على القهر والاخضاع.

وهذا النموذج الذى تحقق على يد أول ملك وحد الوجهين، أصبح فيما بعد نوعاً من السلطة له قدسية خاصة لم يستطع أى من خلفائه من الملوك الذين حكموا مصر بعده أن يغيره أو يبدل فيه.

وعلى سبيل المثال فإن شكل الجسم البشرى المنقوش بالنحت البارز على لوحة الملك نعرمر، حيث يظهر الرأس والأفخاذ والسيقان بزاوية جانبية [بروفيل] وتظهر العين والبطن والصدر من الزاوية الأمامية، ظل هذا الشكل ثابتاً لا يتغير فى جميع أعمال الرسم والتصوير والنحت الغائر والبارز طوال العصور التى مر بها الفن الفرعونى [الصورتان ٣٢، ٣٤].

---

(١) اصطلح المؤرخون على تسمية عصر الأسرتين الأولى والثانية باسم «العصر العتيق» أو «العصر الطينى» نسبة إلى مدينة «طينه» التى تقع بالقرب من مدينة جرجا حالياً. ولهذه المدينة ينتسب الملك «نعرمر» أو مينا (؟) [المترجم].

ومع ذلك، فبينما ظلت بعض المبادىء والمؤسسات التى أنشأتها الملكية مجمدة على ما كانت عليه منذ لحظة وجودها، فقد كان من العسير على بعض المبادىء والمؤسسات الأخرى أن تظل على ثباتها وجودها وسط عالم سريع التغير والتطور.

وقد وقع على عاتق الأسرات الأربعة الأولى مهمة تحقيق الانجازات التى ظلت راسخة طوال عصور الحضارة الفرعونية. وفى نفس الفترة الزمنية لتلك الأسرات الأربعة الأولى، كانت الحضارات المعاصرة لها فى جميع مناطق الشرق الأدنى تفور بنوع من الغليان وهى تمارس عمليات استكشاف قدرات المطارق التى مهدت لها الدخول إلى عصر البرونز.

والحقيقة أن عصر هذه الأسرات الملكية المصرية الأولى كان يتميز بروح البحث الدؤوب عن حلول للمشاكل الحضارية التى توصل إليها المصريون عن طريق التجربة والممارسة العملية، حتى وصلوا إلى انجاز هذه الأعمال الفنية والهندسية التى بلغت أدق وأعلى المستويات. وعندما كانت تصل هذه الانجازات إلى مستواها المطلوب ولم يعد فى الامكان تطويرها أو الإضافة إليها، كانت تتجمد على ما هى عليه، وتضاف إلى حصيلة المناهج المقبولة التى سادت دائما فى الحضارة الفرعونية [الصور ٦١، ١٠٣، ١٠٩].

■ الخلفية الثقافية

أن معلوماتنا عن العصر العتيق الذى يتضمن الأسرتين الأولى والثانية تعتبر قليلة للغاية، فليس لدينا سوى قائمة بأسماء الملوك التى أعدها «مانيتون» وهو

(٤٠)

الصورة (٤٠)
الاله «بتاح» إله منف. ويعتبر الإله الخالق ونصير الصنّاع.

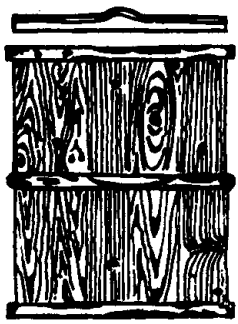

(٤١)

الصورة (٤١)
رسم لمكيال من الخشب كان يستخدم لكيل القمح، مأخوذ عن رسم حائطى بجدران مقبرة «حسى رع» بسقارة.

كاهن مصرى عاش فى عصر بطلميوس فيلادلفوس، كتب تاريخ مصر باللغة اليونانية، ولكن للأسف لم تصلنا مدوناته الأصلية، إنما وصلت إلينا شذرات مشوشة وملخصة تضمنتها كتابات بعض المؤرخين التاليين لعصره والذين أشاروا إلى مقتبسات قاصرة من كتابات مانيتون الأصلية.

وبالإضافة إلى هذه المقتبسات، هناك بعض اسماء ملوك هذا العصر منقوشة على حجر «باليرمو» (٢) بشكل مشوه إلى حد كبير، بالإضافة إلى بعض القوائم بأسماء الملوك الذين حكموا مصر والتى أمر بنقشها بعض الفراعنة الذين حرصوا على تسجيل أسماء أسلافهم.

كذلك فهناك بعض المعلومات عن العصر العتيق [الاسرتان الأولى والثانية] تم استخلاصها من بقايا المقابر وأطلال الأضرحة المنهوبة التى يرجع تاريخها إلى هذا العصر والتى تم اكتشافها فى منطقتى أبيدوس(٣) وسقارة، والتى يرجح أنها كانت لملوك هذا العصر وبعض أفراد أسرهم أو تابعيهم [الصورة ٣٩].

أما المعلومات التى تم استخلاصها من الكتابات التى يرجع تاريخها إلى هذا العصر فهى نادرة جداً بالإضافة إلى صعوبة تفسيرها أو معرفة معانيها.

ومن الشواهد الأثرية السابقة على هذا العصر والشواهد الأثرية اللاحقة له، يتبين لنا بوضوح أن «الخميرة» الاقتصادية والثقافية التى وضعتها عملية توحيد القطرين قد أصبحت تؤدى دورها الفعّال فى عصر الأسرتين الأولى والثانية.

---

(٢) حجر باليرمو عبارة عن لوحة من حجر البازلت الأسود ولم يعرف مكان العثور عليه، وهو مهشم إلى أجزاء كثيرة، الجزء الأكبر منها محفوظ بمتحف باليرمو بجزيرة صقلية، كما يوجد جزء آخر منه فى المتحف المصرى بالقاهرة، وجزء ثالث فى مجموعة فلندرز بترى بلندن. وقد نقشت عليه بالحفر الدقيق قائمة بتاريخ الأسرات الخمس الأولى مع اسماء ملوك الوجه القبلى والوجه البحرى الذين حكموا المملكتين المنفصلتين قبل توحيدهما [المترجم].

(٣) العرابة المدفونة حالياً. وتقع على بعد حوالى ١١ كيلو مترا جنوب غرب البلينا بمحافظة سوهاج. وعبد بها الإله «خنتى امنتيو». وكان يعتقد بأن الإله «أوزيريس» دفن فيها. وكانت أمنية كل مصرى أن يحج إلى أبيدوس للتبرك. ومن أهم آثارها مقابر لملوك الاسرتين الأولى والثانية، ومعبد الملك سيتى الأول ومعبد الملك رمسيس الثانى [من ملوك الاسرة التاسعة عشرة] [المترجم].

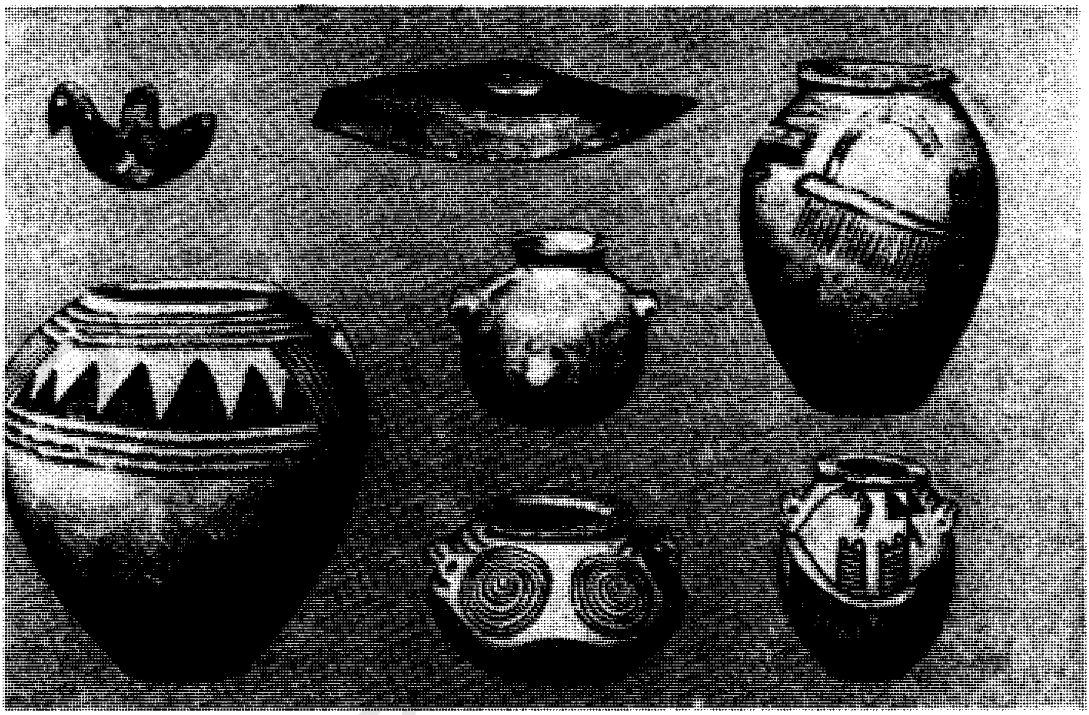

(٢٥)

(٢٦)

الصورتان (٢٥)، (٢٦)

فى الجبّانات الواسعة فى منطقة نقادة والبلاّص، عثر على الكثير من الآثار التى تدل على أن أسلوب حضارة جرزة المنسوبة إلى منطقة جرزة فى الشمال، قد انتقل إلى مناطق الجنوب، وأخذ يحل بالتدريج محل أسلوب حضارة العمرة، حيث أصبحت الأوانى الفخارية ذات لون أصفر يميل إلى البرتقالى، ومزخرفة برسوم ذات لون أحمر، وتمثل أشكالاً من المراكب أو السفن ذات المجاديف المتعددة، والمياه المتموّجة والتلال المثلثة أو الدوائر الحلزونية. وطرز مثل هذه الأوانى أصبحت شائعة، وربما يرجع الفضل فى ذلك إلى اختراع «الحذّافة» أو العجلة ذات الطبلّية الدوارة التى تستخدم فى تشكيل الأوانى الفخارية. وبفضل السكاكين المصنوعة من الصوان، أصبح من السهل تشكيل الفراغ الداخلى للأوانى. وفى الصف العلوى نرى أداة لسحق وطحن الألوان أو مساحيق التجميل، ووعاءً مضلّعاً على شكل طائر. وفى الصورة (٢٦) نرى آنية مصنوعة طبقاً لأسلوب حضارة جرزة.

● محفوظة بالمتحف الاسكتلندى الملكى بأدنبره. تصوير: توم سكوت. وقد عثر على الآنية الكبرى بمنطقة البدارى. أما الوعاء الحجرى ووعاء الزينة فمصدرهما مجهول.

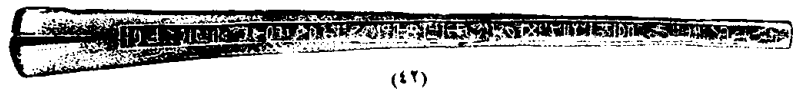

(٤٢)

الصورة (٤٢)
أداة كانت تستخدم فى رصد النجوم وتتبع حركتها، والأداة مصنوعة من قطعة من جريد النخيل.
• محفوظة بمتحف شارلوتنبرج ببرلين.

(٤٣)

الصورة (٤٣)
هناك الكثير من التماثيل المعروفة للكاتب الجالس. ومن أشهرها هذا التمثال وهو لشخصية غير معروفة، وكذلك تمثال الكاتب «كاى» [أنظر الصورة ١٢٥]. وقد عثر عليها بمقابر سقارة والجيزة ويرجع تاريخها إلى عصر الأسرة الخامسة [٢٤٧٠ ق م]. ويظهر فيها الكاتب فى وضع جلوسه التقليدى وساقاه معقودتان، والبردية التى يكتب فيها مفرودة فوق ركبتيه، ويده اليمنى فى وضع الكتابة. وجسم هذا التمثال ملون بلون برتقالى يميل إلى البنى، والشعر بلون أسود، والعيون مصنوعة من الكريستال والألبستر والبرونز.
•محفوظ بالمتحف المصرى بالقاهرة. تصوير: ماكس هيرمر.

وبطبيعة الحال فقد كانت مهنة الكتابة من ألزم الضروريات لعمليات إدارة وتنظيم العمل وتسجيله، فى دولة واسعة المساحة تحكم حكماً مركزياً منذ بداية عصر الأسرات وطوال عصر الدولة القديمة بأكمله [الصورتان ٤٣، ١٢٥].

وقد تضمن هذا النظام الإدارى العام ــ فى هذا الوقت المبكر من التاريخ ــ نظاماً ضرائبياً بالغ التعقيد، ولكنه محكم إلى حد كبير. ومن المرجح ظهور الأدوات الخاصة بكيل الحبوب فى عصر الأسرة الثالثة على أقل تقدير، حيث وجد نقش على جدران مقبرة «حِسِى رَعْ» يمثل مكيالاً على شكل وعاء أو برميل خشبى كان يستخدم فى كيل القمح [الصورة ٤١].

كذلك فقد وجد نظام لقياس الأطوال، مثله مثل نظام القياس الذى استخدم فى العصور الوسطى فى أوربا، بمعنى أنه كان يستخدم الأطوال النمطية للأطراف البشرية كالذراع والساعد والأصابع والأكف.

وبالنظر إلى أن فيضان النيل السنوى كان يؤدى إلى إزالة علامات الحدود التى تفصل بين الحقول وملكيات الأراضى الزراعية، لذلك فقد كان لزاماً ظهور نظام دقيق لقياس المساحات يؤدى إلى الدقة المتناهية فى إعادة تحديد المساحات القديمة التى أزالتها مياه الفيضان.

وبالرغم من ثبوت معرفة قدماء المصريين للنظام «العشرى»(٦) فى عصر ما قبل الأسرات، وبالرغم من تطبيقاتهم الكثيرة للعلوم والمسائل الرياضية إلا أنه يمكن القول بأنهم كانوا يطبقون هذه العلوم بطريقة «براجماتية» طبقاً لما كانت تقتضيه حاجاتهم العملية. فقد كان فى إمكانهم معرفة الطرق الدقيقة لتحديد النسب بين الطول والعرض والارتفاع بالنسبة للمصاطب ذات الجدران المائلة إلى الداخل التى كانوا يبنونها فوق مقابر الأفراد، ونسب مقاسات الأهرام التى شيدوها فى عصر الدولة القديمة. ولكنهم كانوا يطبقون جميع المسائل الرياضية

(٦) فى نفس العصر الذى اهتدى فيه المصريون الاوائل إلى علامات وحروف ورموز الكتابة، توصلوا أيضا إلى رموز مفردة مبسطة للتعبير عن «العشرات» الحسابية ومضاعفاتها، أى المائة والألف والعشرة آلاف والمائة ألف والألف ألف، وتدل الشواهد الأثرية أيضا انهم وضعوا قواعد ضرب وقسمة العشرات ومضاعفاتها، كما سجلوا المجاميع العددية برموز وعلامات مرتبة متصلة بطريقة سهلة بحيث يمكن الوصول إلى معرفتها بنظرة عين سريعة [المترجم].

تطبيقاً عملياً واقعياً، ولم يثبت أنهم قد درسوا هذه المسائل الرياضية فى حد ذاتها دراسة نظرية (٧).

كذلك فقد أحرزوا تقدماً هائلاً فى معرفة الفلك فى حدود الضرورة التى فرضتها عملية التنبؤ بحدوث الفيضان السنوى للنيل. وثبت أنهم قد اخترعوا أداة عملية لرصد نجوم السماء حتى يتمكنوا من تحديد مواعيد المواسم والاحتفالات التى كانت تقام على مدار السنة على نحو صحيح ودقيق [الصورة ٤٢]، ذلك لأن مثل هذا المجتمع البدائى غير العلمى كان يعتبر أن تحديد مواعيد المناسبات المرتبطة بالعقيدة أمراً بالغ الأهمية. كما أن الفلك ورصد النجوم كان ذا أهمية قصوى فى تحديد بعض النواحى المتعلقة بإقامة المبانى أو القيام بالمشروعات الكبرى طبقاً لطقوس العقائد التى كانت سائدة.

وقد ازدهرت العلوم الفلكية فى هليوبوليس التى كانت تعتبر مركزاً لعقيدة الشمس، وحيث كانت تجرى الأرصاد والقياسات لتحديد المواعيد والأبعاد الزمنية وكل ما يتعلق بدراسة السماء والأجرام السماوية. وليس من المستبعد أن دقة توجيه واجهات الأهرام ودقة تحديد نسبها وأبعادها وزواياها ترجع إلى فضل مهندسين ينتمون إلى هليوبوليس (٨).

وفى هذا العصر أيضاً تبين قصور التقويم القمرى الذى كان مستخدماً فى مصر منذ عصر ما قبل الأسرات، وحل محله تقويم شمسى أكثر دقة وأحكاماً، يقسم السنة إلى إثنى عشر شهراً، ويتكون كل شهر من ثلاثين يوماً مع إضافة خمسة

---

(٧) كانت الحاجة هى دافع المصريين القدماء نحو التطور فى كافة ميادين حياتهم العلمية والعملية ولئن قال هيرودوت ان المصريين كانوا مهرة فى العلوم التطبيقية وفى المسائل الفنية ولكن تنقصهم الموهبة فى البحوث النظرية المحضة، أفليس هذا معناه انهم كانوا يطبقون قواعد ومبادىء ونظريات مسلم بها أو معروفة لديهم سلفا؟ وعلى أية حال فازالت هذه المسألة خلافية ويلزمها الكثير من البحث، خاصة وان الكهنة وكبار أهل العلم من المصريين القدماء كانوا يصبغون معارفهم بطبيعة كهنوتية تكتنفها اسرار كثيرة [المترجم].

(٨) منذ أقدم العصور لعبت هذه المدينة دورها كمركز دينى وثقافى وتعليمى. وكانت تجرى فيها الدراسات العليا للفلك والعلوم الرياضية وعلوم اللاهوت ونظريات خلق العالم [المترجم].

أيام خصصت للاحتفال بالأعياد. وهو التقويم الذى ظل مطبقاً لمدة طويلة إلى أن تم تعديله إلى التقويم الثالث المطبق حالياً (٩).

■ الحضارة المادية:

أن البقايا والآثار التى يرجع تاريخها إلى العصر العتيق والتى عثر عليها فى المواقع البالغة التخريب والتدمير فى كل من أبيدوس وسقارة، تعطينا لمحات سريعة عن أنواع من الحضارة المادية قد تتصف بالبدائية كما تتصف أيضاً بالدقة والذوق الرفيع، وتبدو لنا فى بعض الأحيان كما لو كانت حضارة تقليدية مستقرة ثبتت على قواعد وأشكال محددة، كما تبدو فى أحيان أخرى كما لو كانت نشطة التجريب والتطور [الصورة ٤٤].

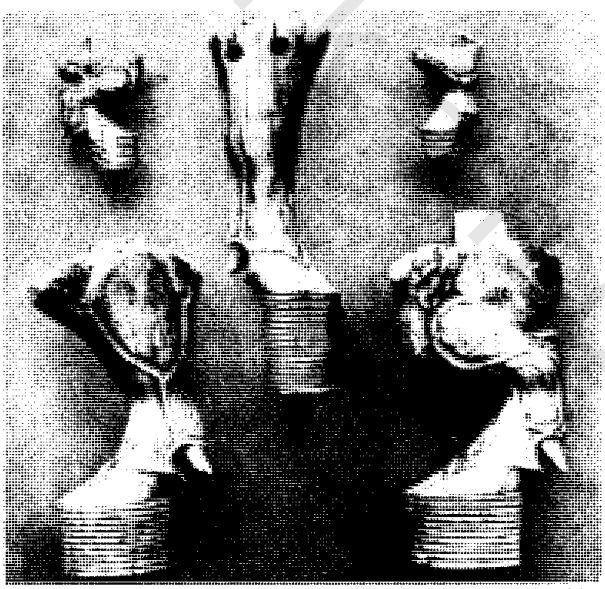

(٤٤)

الصورة (٤٤)
أرجل كراسى مصنوعة من العاج على شكل حوافر الثيران، ويرجع تاريخها إلى عصر الأسرة الأولى، وقد عثر عليها بمقابر هذه الأسرة بمنطقة أبيدوس [أنظر أيضاً الصورة ١٠٢]. وقد حلت قدم الأسد بمخالبها محل حوافر الثور فى تشكيل أرجل الكراسى وقطع الأثاث فى العصور التالية.
• محفوظة بمتحف المتروبوليتان بنيويورك.
تصوير: قسم التصوير بالمتحف.

(٩) ربط المصريون القدماء تقويمهم بظاهرة ظهور النجم سوتس [الشعرى اليمانية] متسقا مع صعود الشمس على خط عرض أون/منف. وقسموا السنة إلى ثلاثة فصول يتكون كل منها من أربعة شهور. الفصل الأول هو «آخِتْ» يبدأ فيه فيضان النيل. والفصل الثانى هو «بِرِتْ» ومعناه «الظهور أو البزوغ أو الخروج» أى خروج الأرض وظهورها بعد انحسار الفيضان وخروج النبات من باطنها. والفصل الثالث هو «شِمِوْ» ويجنون فيه المحاصيل ويخزنونها [المترجم]

• الآوانى الحجرية والفخارية

لقد استمرت صناعة الأوانى الحجرية وتطورت بجرأة شديدة، فظهر الكثير من الأشكال والتصميمات الجديدة [الصور ٤٥، ٤٦، ٤٧]. أما صناعة الأوانى الفخارية فقد أصبحت من الناحية الفنية أقل ذوقاً مما كانت عليه من قبل، وكادت أن تقتصر تلك الأوانى على مجرد أداء الخدمة للمنفعة المنزلية الرتيبة. وربما كان لظهور «العجلة الدوارة» واستخدامها فى صناعة الأوانى الفخارية فى بداية ذلك العصر، أثر كبير فى الإسراع بهبوط المستوى الفنى إلى هذا الحد.

• صناعة النحاس:

وعلى العكس من ذلك فقد تطورت وازدهرت صناعات النحاس(١٠)، حيث عثر على الكثير من الأدوات والأسلحة والسبائك النحاسية فى مقبرة هامة يرجع تاريخها إلى عصر الأسرة الأولى، ونرى ضمن هذه المصنوعات النحاسية الكثير من الطاسات والأباريق والأوانى التى صنعت من رقائق النحاس المطروق. وتعتبر هذه الآثار النحاسية من العصر العتيق الأسلاف أو الأجداد الأوائل لسيل لا يحصر من إنتاجات صناعة الأوانى المعدنية طوال عصور التاريخ المصرى القديم [الصورة ٤٨].

وتدل المصنوعات النحاسية التى يرجع تاريخها إلى العصر العتيق على أن المصريين القدماء قد استخدموا طريقة الطرق على النحاس البارد أو الساخن، كما استخدموا أيضاً طريقة صهر النحاس وصبه فى قوالب.

---

(١٠) كان النحاس أقدم المعادن التى استخدمها المصريون الأوائل، ويرجع بعض المؤرخين ذلك إلى سهولة امكان العثور عليه بالقرب من سطح الأرض مختلطا بمواد اخرى يمكن صهرها وفصلها بمجهود قليل وتحت حرارة ليست شديدة. ويتصور بعض المؤرخين ان المصريين الأوائل اهتدوا إلى استخلاص معدن النحاس فى بداية الأمر بطريقة عفوية، وذلك أثناء قيامهم بحرق وقود الأفران التى كانوا يحرقون فيها الأوانى الفخارية، فإذا كان هذا الوقود يتضمن بعضاً من اخلاط النحاس فإن الحرارة كانت تخلص معدن النحاس من هذه الأخلاط فيظهر بريقه. كما قالوا أن المرأة المصرية القديمة ربما كانت أول من تنبه إلى إمكانية استخلاص معدن النحاس من مواد مثل «الدهنج أو الملاخيت» الذى كان يستعمل لتكحيل العيون، وذلك عندما سقطت قطعة من هذه المادة فى مواقد الأكواخ التى كانت تستعمل فى طهى الطعام، فانصهرت المادة وظهر النحاس [المترجم].

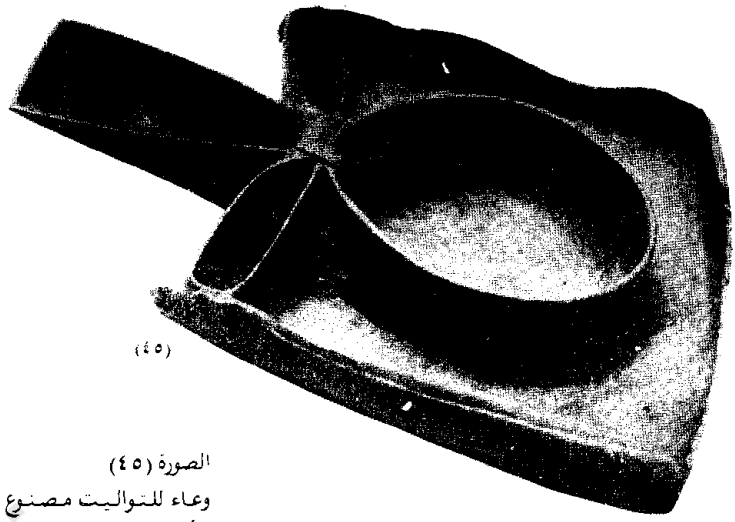

(٤٥)

الصورة (٤٥)

وعاء للنواليت مصنوع من الإردواز يرجع تاريخه إلى عصر الأسرات المبكرة . وهو مصمم على شكل علامتين من العلامات الهيروجليفية . في الوسط نرى العلامة « عنخ » رمز الحياة ، وفي الإطار الخارجي نرى العلامة « كا » التي ترمز إلى الروح والطعام ، وهي على شكل ذراعين مرفوعتين .

● محفوظ بمتحف المتروبوليتان بنيويورك . تصوير: قسم التصوير بالمتحف .

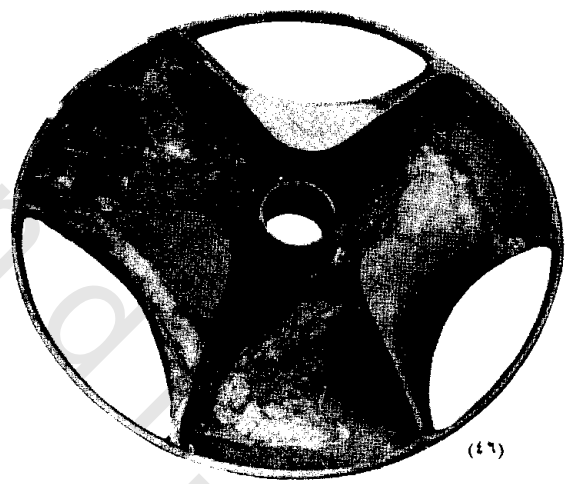

(٤٦)

الصورة (٤٦)

وعاء منحوت من قطعة واحدة صلبة من حجر الشيست وهو مقسم إلى اقسام رقيقة غير منتظمة . ومن المحتمل أن يكون هذا الوعاء قد صنع تقليداً لنموذج مماثل مصنوع من المعدن . وقد عثر عليه بمقبرة « سابو» بسقارة ويرجع تاريخه إلى نحو عام ٣١٠٠ ق م .

● محفوظ بالمتحف المصرى بالقاهرة . والصورة بإذن خاص من البروفيسور و. ب . ايميرى .

الصورة (٤٧)

وعاء من الاردواز وضع تصميمه على شكل سلة مصنوعة من الأعواد النباتية . ونقشت عليه العلامة التى ترمز إلى « الذهب » . وقد عثر عليه بهرم زوسر المدرج بسقارة .

● محفوظ بالمتحف المصرى بالقاهرة . تصوير: جيمس مورتيمر .

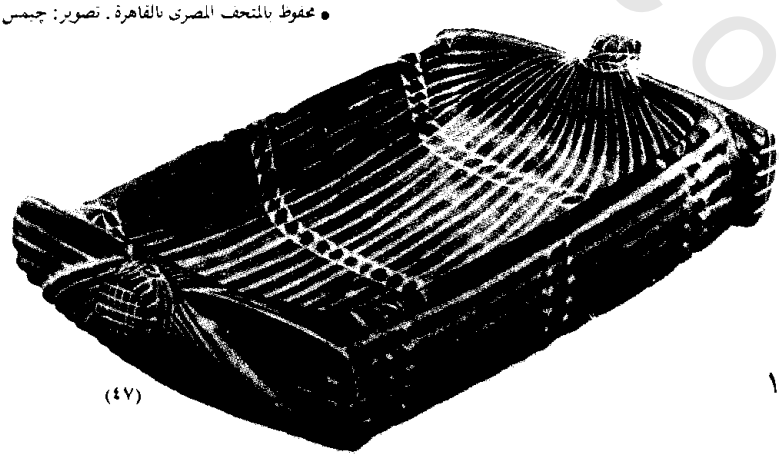

(٤٧)

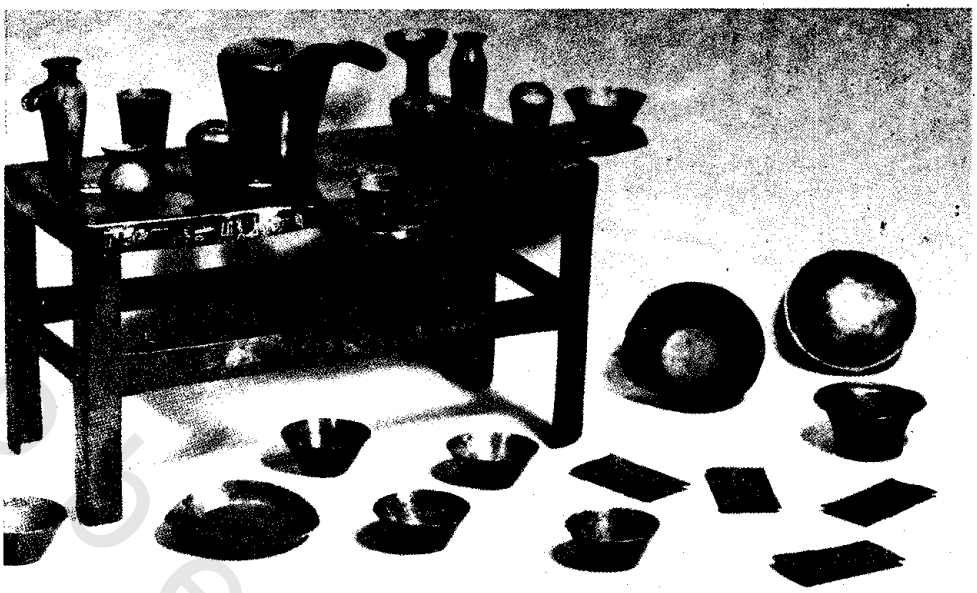

(٤٨)

الصورة (٤٨)

مجموعة من الأوانى والأطباق النحاسية ومائدة قرابين عثر عليها بمقبرة «إيدى» بمنطقة إبيدوس والتى يرجع تاريخها إلى عام ٢٣٠٠ ق م. وبالنسبة للأوانى ذات «البزبوز» نلاحظ أن البزبوز قد صنع منفصلاً عن الوعاء، ثم تم تثبيته فى جسم الوعاء بطريقة الدق المعروفة فى الأعمال النحاسية. وهى نفس الطريقة التى اتبعت فى عصر الأسرات المبكرة وها شواهد كثيرة عثر عليها بمقابر أبيدوس ومقابر سقارة.

● محفوظة بالمتحف البريطانى. تصوير: چون فريمان.

الصورة (٤٩)

أربع من الأساور عثر عليها ملفوفة حول ذراع مكفن بالكتان بمقبرة الملك «دِجِز؟» بابيدوس. ثلاث منها مصنوعة من قطع خرزية من الفيروز الأزرق المخضر، واللازورد الداكن الزرقة، وحجر الجَمَشْتْ الأرجوانى البنفسجى. أما الأسورة الرابعة [العليا] فمصنوعة من رقائق مدككة من الخزف على شكل «سِرِخ» أو واجهة القصر ويظهر على كلٍ منها صقر يمثل الإله حورس. ويرجع تاريخ هذه الأساور إلى نحو عام ٣١٠٠ق م. [قارن أيضاً الصور ٣٩، ٥٦، ٦٠].

● محفوظة بالمتحف المصرى بالقاهرة. والصورة مأخوذة بإذن خاص من متحف الفنون الجميلة ببوسطن.

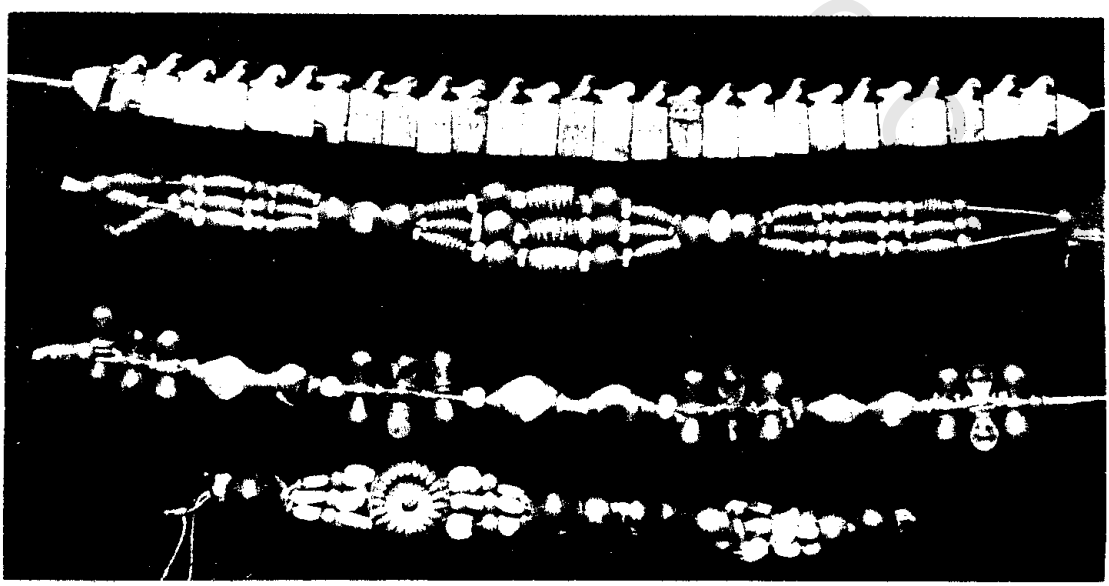

وقد تبين أنه بالنسبة إلى صناعة الأدوات الخفيفة كأسنان المناشير ونصال السكاكين فقد تمت باستخدام الطَّرْق على البارد، وذلك بعد تشكيل المعدن تشكيلاً تقريبياً أو تحضيرياً طبقاً للشكل المطلوب. أما الأدوات الأثقل أو الأكبر حجماً كرؤوس الفئوس والمعازق فقد استخدمت فى صناعتها طريقة الطرق على صَبَّة المعدن الساخن حتى يمكن تشكيلها طبقاً للشكل المطلوب.

أما بالنسبة للحواف الحادة للأدوات القاطعة فمن المحتمل أنهم قد استخدموا طريقة طرق المعدن لترقيقه وشحذ حافته. وقد لوحظ أن هذه الطريقة كانت تعرض الأداة القاطعة إلى التهشم أو تجعلها سريعة العطب والكسر.

أما الطريقة التى اتبعت فى ذلك العصر فى ثقب عيون الإبر التى كانت تستخدم فى الخياطة أو فى تقطيع سنون المناشير، فتعتبر مشكلة لم نتمكن إلى الآن من حلها أو من معرفة الطريقة التى تمت بها، فمن المعروف أن مثل هذه الثقوب ما كانت تتم لولا استخدام مادة أخرى أكثر صلابة من النحاس. ومن المعروف كذلك أن قدماء المصريين فى ذلك العصر كانوا لا يعرفون طريقة صنع البرونز.

ومن المحتمل أنهم قد استخدموا رمال الكوارتز فى تخشين حواف الأدوات القاطعة المصنوعة من النحاس، كنصال وسنون المناشير. ومن المؤكد أنهم قد استخدموا هذه المناشير المصنوعة بتلك الطريقة فى نشر وتقطيع الأحجار الصلبة فى عصر بناة الأهرام. وذلك إلى جانب استخدام الأدوات المصنوعة من حجر الصوان التى ظلت مستخدمة إلى جانب الأدوات النحاسية حتى ذلك العصر.

وقد عثر على تمثالين صدئين متآكلين مصنوعين من النحاس ويرجع تاريخهما إلى قرب نهاية عصر الدولة القديمة، ويمثلان الملك بيبى الأول وابنه [الصورة ١٢٠]. وقد صنع هذان التمثالان بطريقة طرق صحائف النحاس على قالب مصنوع من الخشب. ويبدو أن جذور هذه الطريقة ترجع إلى عصر أكثر قدماً، حيث عثر على نص مكتوب يشير إلى تماثيل من النحاس صنعت بأمر من أحد ملوك الأسرة الثانية.

• الحلى والمجوهرات:

ومن الواضح أن الصاغة والجواهرجية لم يتخلفوا عن تيار التطور الذى لحق بالصناعة بصفة عامة. ولكن لسوء الحظ فإن الآثار المصنوعة من الذهب أو الالكتروم [وهو مزيج طبيعى من الذهب والفضة] (١١) والتى يرجع تاريخها إلى العصر العتيق تعتبر جد قليلة ونادرة، بعد أن أفلتت بأعجوبة من براثن لصوص المقابر فى مختلف العصور.

ومن أهم ما عثر عليه من الحلى المصنوعة من المعادن الثمينة والأحجار الكريمة والتى يرجع تاريخها إلى العصر العتيق، أربعة أساور وجدت ملفوفة بلفائف الكتان التى كانت تغطى ذراعاً آدمية كانت مدفونة فى مقبرة الملك «دچر» فى أبيدوس، ومن المحتمل أن هذه الذراع جزء من مومياء الملكة زوجة الملك «دچر» (١٢) [الصورة ٤٩]. وبالنظر إلى أن الذراع قد وجدت مبتورة ومخبأة بأحكام داخل أحد الشقوق بجدران المقبرة، فمن المحتمل أن يكون اللص القديم الذى اشترك فى عمليات نهب هذه المقبرة قد فوجىء بأمر ما، فآثر أن يقوم باخفاء الذراع بداخل هذا الشق لكى يعود إلى غنيمته فيما بعد، ولكن الظروف قد حالت دون اتمام الجريمة.

وتدل هذه الأساور الأربعة على مدى الروعة التى بلغتها صياغة الذهب، ومدى الدقة والذوق الرفيع فى تنضيده بالأحجار الكريمة كالفيروز الأزرق المخضر، واللازورد السماوى الزرقة، والجَمَشْت الأرجوانى الذى يميل إلى البنفسجى. وقد

---

(١١) قد يكون هذا المزيج من الذهب والفضة من فعل الطبيعة أو من فعل الإنسان. فإذا كانت السبيكة تحتوى على نسبة أقل من ٢٠٪ من الفضة سميت مع ذلك ذهباً. أما إذا زادت نسبة الفضة على ٢٠٪ وظلت محتفظة مع ذلك بلونها الأصفر فتسمى «إلكتروم» وهى تسمية رومانية، أما الاغريق فقد كانوا يسمون هذا المعدن «الكترون». وقد وجد هذا المعدن طبيعيا فى مصر حيث فضّل المصريون القدماء منذ عصر بداية الاسرات استخدام هذا المعدن بكثرة فى نفس الأغراض التى كان يستعمل فيها الذهب، سواء فى صنع الحلى والمجوهرات أو فى كسوة وتذهيب الخشب والأثاث والتوابيت الخشبية المذهبة. [المترجم].

(١٢) الحقيقة انه ليس هناك دليل يؤيد نسبة هذه الذراع إلى مومياء زوجة الملك دچر، وليس هناك ما يدل على أن هذه العظام من ذراع سيدة [المترجم].

صنعت الأساور الثلاثة الأولى بطريقة تنضيد خرزات الأحجار الكريمة فى أشكال زخرفية ظلت متبعة فى صناعة الحلى فى العصور الطويلة التالية. أما السوار الرابع فهو مصنوع على شكل رقائق مدككة من الخزف تمثل كل رقيقة منها شكل «سِرِخْ» (١٣) أو واجهة قصر يقف فوقها الصقر حورس.

وفى مقبرة الملكة «نيتْ حُتِبْ» (١٤) بمنطقة أبيدوس، عثر على مجموعة من البطاقات الصغيرة Labels المصنوعة من العاج، كتبت على كل منها مجموعة من الأرقام تحت رسم يمثل عقداً أو سواراً. ومن المؤكد أن هذه البطاقات العاجية كانت ملصقة على الصناديق التى كانت تحتوى على قطع الحلى التى دفنت مع الملكة، وأن هذه الأرقام كانت تشير إلى عدد الخرزات والأحجار الكريمة التى كانت تحتويها كل قطعة (١٥).

وأغلب الظن أن مقابر أبيدوس وسقارة التى يرجع تاريخها إلى عصر الأسرتين الأولى والثانية كانت تحتوى ولاشك على كميات كبيرة من الحلى الثمينة والمشغولات الذهبية. ومن الشواهد على ذلك ما عثر عليه فى مقبرة يرجع تاريخها إلى أوائل عصر الأسرة الأولى من بقايا بعض الأعمدة الخشبية المكسوة بصفائح

---

(١٣) الاسم المصرى القديم لواجهة القصر الملكى [المترجم].

(١٤) من المعتقد ان الملكة «نيت حتب» كانت احدى أميرات الشمال، وتزوجها الملك نعرمر وانجب منها الملك «حور عحا» الذى تولى العرش بعده. وقد عثر على قطعة من الحجر الجيرى فى إحدى مقابر حلوان حفر عليها شكل يمثل هذه الملكة. أما مقبرتها فتعتبر من أروع الآثار التى يرجع تاريخها إلى هذا العصر المبكر. ويبلغ طولها ٥٣,٤ مترا وعرضها ٤٦,٧ متراً [المترجم].

(١٥) كانت هذه البطاقات العاجية تلصق بالأدوات والاشياء والحلى التى توضع بالمقابر عند الدفن. وتتراوح مقاسات هذه البطاقات مابين ١×١,٢ سم و ٧,٥×٩,٥ سم. أما الكتابات أو العلامات والأرقام المدونة على هذه البطاقات فكان بعضها محفوراً وبعضها الآخر كان مكتوباً باللونين الأسود والأحمر. وتدل الأرقام على عدد حبات الخرز أو الأحجار الكريمة التى كانت تحتويها كل قطعة من الحلى. وكانت الأرقام التى وجدت على البطاقات التى عثر عليها بمقبرة الملكة «نيت حتب» هى على وجه التحديد ٧٥، ١٢٣، ١٦٤ [المترجم].

الذهب على شكل أشرطة طويلة ولا يفصل بين كل شريط منها سوى مسافة لا تتعدى سنتيمتراً واحداً (١٦).

كذلك فقد عثر فى إحدى مقابر الأفراد بمنطقة «نجع الدير» والتى يرجع تاريخها أيضاً إلى عصر الأسرة الأولى، على مجموعة ثمينة من الحلى والمجوهرات تتضمن قطعاً ذهبية دائرية الشكل، وقطعة رائعة من الخرزات الذهبية شكلت على شكل قوقعة، وعلى تمائم وتعاويذ مصنوعة من الذهب على شكل الثور والبقر الوحشى الافريقى.

● **المشغولات الخشبية والعاجية:**

وقد عثر فى بعض مقابر الأسرة الأولى على بعض كسرات من المشغولات الخشبية المطعمة بالعاج، تدل على الذوق الرفيع للنجارين الذين قاموا بتصميم وصنع تلك المشغولات الخشبية الثمينة والتى تثبت أن هؤلاء الفنانين الحرفيين كانوا ميالين إلى تقليد طريقة عمل الزخارف التى كانت يصنعها نساجو الحصير وصانعو السلال الذين كانوا يستخدمون نبات الأسَل أو السَّمَار فى تكوين الزخارف البديعة فى أعمالهم.

ونلاحظ أن الطريقة التى اتبعها النجارون فى نحت الأخشاب أوتطعيمها بالعاج كانت على درجة عالية من الكفاءة الفنية مكنتهم من انجاز هذه المشغولات الخشبية وصقلها بهذه الطريقة الفذة التى لا مثيل لها فى أية حضارة أخرى من الحضارات التى كانت معاصرة للحضارة المصرية [الصورة ٥٠].

وهناك صندوق خشبى عثر عليه أيضاً فى إحدى مقابر الأسرة الأولى، يدل تصميمه وتقسيمه إلى أقسام غير متساوية على أنه كان يفى بغرض عملى لحفظ أشياء غير متجانسة أو من أشكال مختلفة فى وعاء واحد [الصورة ٥١].

---

(١٦) تمكن المصريون فى ذلك العصر من التعامل مع الذهب بطريقتى السبك والطرق، واستطاعوا عمل اسلاك رفيعة من الذهب لنظم العقود، كما استطاعوا صنع صفائح رقيقة كانوا ينقشون عليها بالبارز والغائر، كما صنعوا منه رقائق لا يزيد سمكها عن ١/٥٠٠٠ من البوصة [أى نحو ٠,١٢٧ من المليمتر]. أما الصفائح فكان سمكها يتراوح مابين ٠,٠٩ ــ و ٠,١٧ ــ و ٠,٥٤ من المليمتر [المترجم].

(٥٠)

الصورة (٥٠)

بقايا كرسى مصنوع من الأبنوس ، عثر عليها بمصطبة الملك «دِجِزْ؟» بسقارة. ونلاحظ أن الصانع قد خرط هذا الخشب الصلب وحفر فيه زخارف قصد بها تقليد مقاعد الكراسى المصنوعة من « الأسَلِ أو السَّمَارِ» وهونبات تستخدم أوراقه الاسطوانية الطويلة فى عمل مقاعد الكراسى . ويرجع تاريخ هذه البقايا إلى نحوعام ٣١٠٠ ق م .

● محفوظة بالمتحف المصرى بالقاهرة . والصورة بإذن خاص من البروفيسور و. ب. إيميرى .

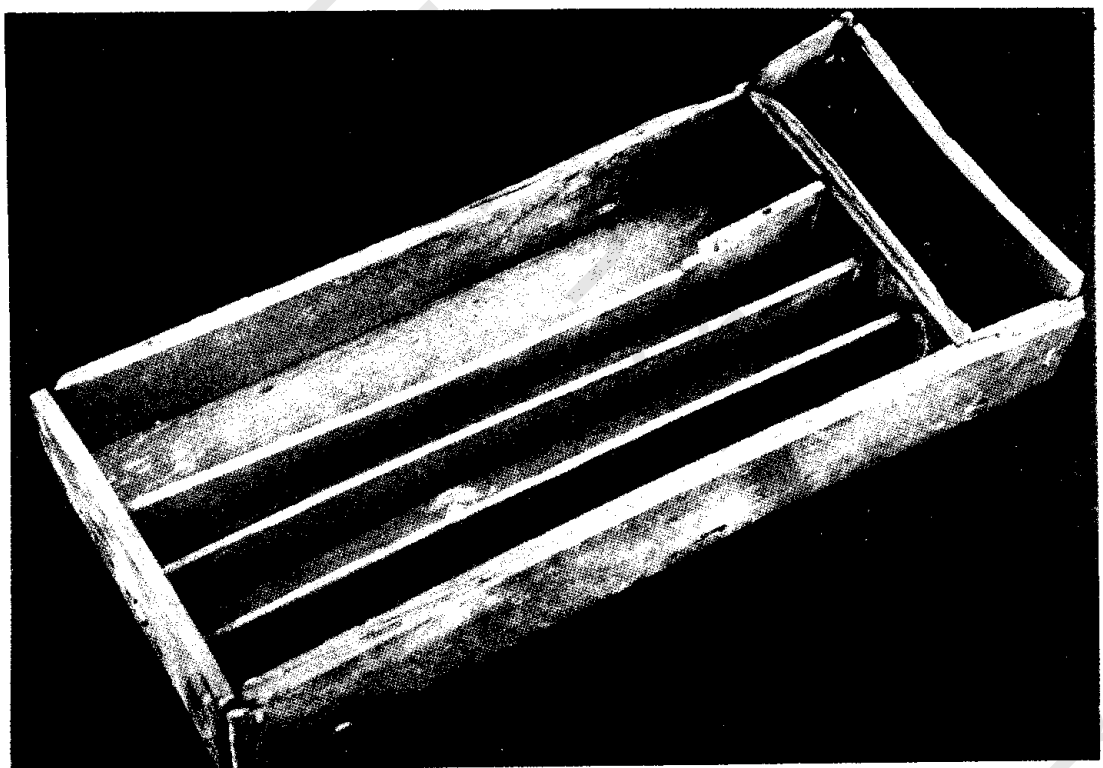

(٥١)

الصورة (٥١)

صندوق ذو أقسام متعددة ، مصنوع من الخشب ، عثر عليه بمصطبة الملك « دچر؟ » بسقارة . ومن المحتمل أنه كان يستخدم لحفظ قطع إحدى اللعبات التى كانت معروفة فى ذاك الزمن .

● محفوظ بالمتحف المصرى بالقاهرة . والصورة بإذن خاص من البروفيسور و. ب. إيميرى .

أما أعمال تشكيل العاج ونحته فقد كانت تعتبر فى العصر العتيق ميراثاً مستمراً لأصول الفن الذى بدأ منذ عصر ما قبل التاريخ. ولعل التمثال الصغير العاجى الوحيد الذى عثر عليه فى إحدى مقابر أبيدوس والذى يمثل أحد الملوك مرتدياً عباءة الاحتفال باليوبيل الثلاثينى «حَبْ سِدْ» (١٧) ويبدو كما لو كان يهم بالخطو السريع إلى الأمام خير شاهد يعطينا فكرة كاملة عن مستوى فن نحت العاج فى ذلك العصر [الصورة ٥٢].

وما دمنا نتكلم عن تلك الآثار النادرة التى يرجع تاريخها إلى العصر العتيق، فلابد أن نشير إلى تلك التحفة الرائعة التى وصلت إلينا بحالتها الأصلية الجيدة، وهى عبارة عن جزء من لعبة مصنوعة من حجر الاستيتايت الأسود [وهو حجر الطلق الصابونى الملمس] على شكل قرص مستدير نحت على أحد وجهيه شكل زخرفى يتألف من كلبين من كلاب الصيد يطاردان غزالين (١٨). وجميع هذه الحيوانات منحوتة من قطع من المرمر الوردى الرقيق ومثبتة على شكل القرص [الصورة ٥٣]. ونستدل من هذا القرص الرائع على المستوى الرقيق والدقيق الذى وصل إليه فن الرسم والتصميم ودقة الحرفى الفنان الذى انجزه، وهو المستوى الذى ظل سائداً فى الأعمال الفنية المماثلة التى انتجت فى عصور لاحقة من عصور الحضارة المصرية القديمة. كما نستدل أيضاً على الحس الفنى للتكوين الزخرفى الذى أوحى للحرفى الفنان بوضع عناصر عمله الفنى فى هذا التصميم وطريقته فى تنظيم وضع هذه العناصر بداخل الإطار الدائرى. وهذا الحس الفنى فى تصميم عناصر المنظر ظل سمة أساسية متبعة فى الأعمال الفنية المصرية طوال عصر الأسرات بأكمله. وهى السمة التى تميز الفنان المصرى بطريقته الخاصة فى تنظيم وضع عناصر عمله الفنى داخل الأطر المستطيلة والدائرية.

(١٧) ربما يرجع الاحتفال بهذا العيد إلى عادة وحشية قديمة مارسها القدماء فى عصور قديمة جداً، حيث كان لا يسمح للحاكم أو لصاحب السلطة إلا بمدة ٣٠ عاماً فقط، وبعدها كان لابد من ازاحته سواء بالعزل أو بالقتل، على اساس انه لم يعد قادراً على ممارسة سلطات الحكم. وتحولت هذه العادة وأخذت طابعاً إنسانيا، فبدلاً من عزل الفرعون أو قتله، كان يحتفل بعد ٣٠ سنة من بداية حكمه باعادة تنصيبه وكأنه ملك جديد للوجه القبلى والوجه البحرى. ويرمز هذا الاحتفال اليوبيلى إلى انبعاث قوة جديدة فى الفرعون تمكنه من أن يبدأ عهداً جديداً [المترجم].

(١٨) عثر على هذه القطعة الفريدة فى نوعها ضمن قطع كثيرة أخرى بالمقبرة رقم ٣٠٣٥ بسقارة [المترجم].

(٥٢)

الصورة (٥٢)
تمثال صغير من العاج يمثل ملكا غير معروف . عثر عليه فى أبيدوس ، ويظهر فيه الملك وهو يخطو إلى الأمام فى الأحتفال اليوبيلى بعيد « حِبْ سِدْ » وهو ملتحف بعباءة فضفاضة مزخرفة بوحدات زخرفية على شكل « المعيّن » [مربع متساوى الأضلاع ولكن به زاويتين حادتين وزاويتين منفرجتين] . ويرجع تاريخ هذا التمثال إلى عام ٣٠٠٠ ق م . [انظر أيضاً الصورة ١٠٣] .

وعلى العكس من هذا المستوى الرفيع من العمل الفنى نجد مستوى أقل شأنا يتمثل فى نحت وحفر العلامات والأرقام على البطاقات الصغيرة المصنوعة من العاج أو من خشب الأبنوس . وقد يعزى السبب فى ذلك إلى أن هذه البطاقات كانت من صنع كتّاب يجيدون استخدام القلم أكثر من إجادة استخدام الأزميل [قارن الصورتين ٥٤ ، ٥٥] .

أما الكتابات التى وصلت إلينا من هذا العصر فأهمها نموذجان وصلا إلينا ضمن كتابات كتبت فى عصر الأسرة الأولى .

وأحد هذين النموذجين عبارة عن بحث أو رسالة فى « الجراحة والطب » خصوصاً فيما يتعلق بعمليات كسور العظام ، ويستدل من هذا البحث على أنه يقوم على المنهج التجريبى فى التشخيص ووصف طريقة العلاج بالنسبة لكل حالة .

(٥٣)

الصورة (٥٣)

طبق مستدير مصنوع من «الطلق» أو الحجر الصابونى الأسود، من المحتمل أنه كان يستخدم فى إحدى اللعب، وعليه نحت بارز قليلاً يمثل كلبين من كلاب الصيد يهاجمان غزالين. ونلاحظ أن الغزالين وأحد الكلبين مصنوعين من الألبستر الوردى وملصوقين على سطح هذا الطبق الذى يرجع تاريخه إلى عصر الأسرة الأولى وعثر عليه بمقبرة «حماكا» بسقارة.

● محفوظ بالمتحف المصرى بالقاهرة. والصورة بإذن خاص من البروفيسور و.ب. إميرى.

أما النموذج الثانى فهو بحث فى «اللاهوت» يعزو عملية خلق العالم إلى «بتاح» إله منف. ومن الواضح فى هذا البحث أنه يتضمن رؤية علمية للعناصر الأولية التى يتكون منها العالم.

ويميل بعض الدارسين للحضارة المصرية القديمة إلى القول باعتبار هذا العصر العتيق الحافل بالعديد من أوجه الانشطة والمحاولات الدؤوبة للبحث عن الجديد ووضع أسس الأشياء، عصراً غير مسبوق بالنسبة للحضارات القديمة الأخرى،

تبلورت فيه قدرة المصريين القدماء على تلمّس طريقهم فى اتباع المنهج العلمى فى النظر إلى مظاهر الكون من حولهم .

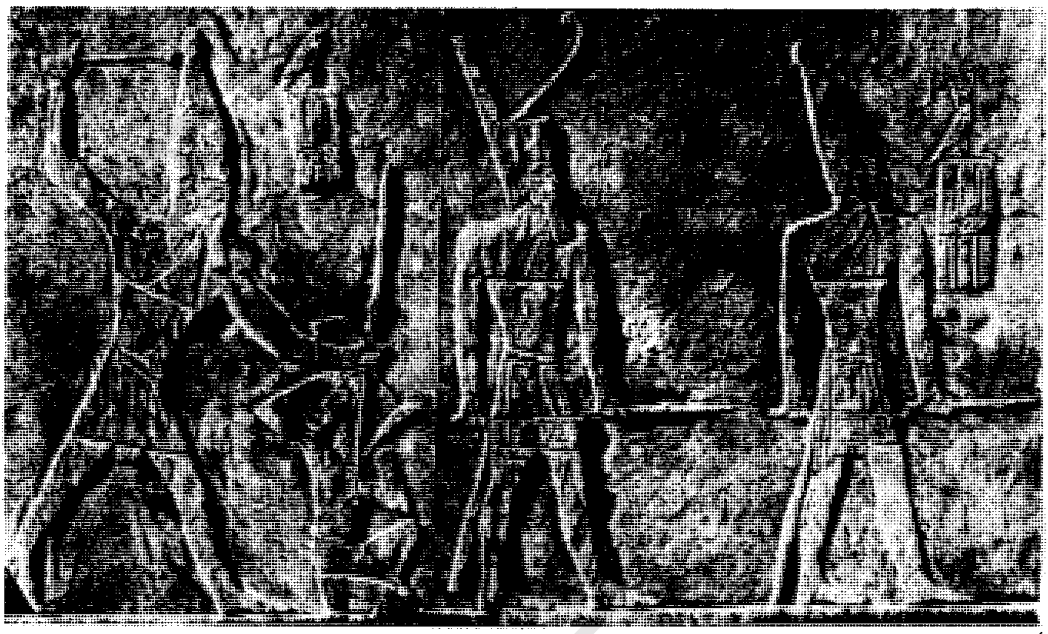

(٥٤)

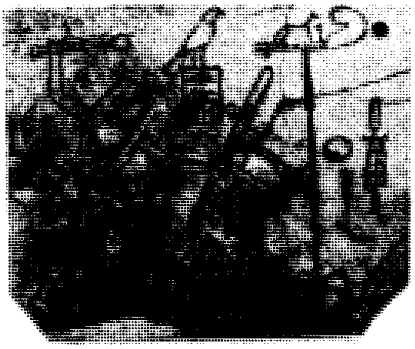

(٥٥)

الصورة (٥٤)

نحت على الحجر عثر عليه بوادى مغارة يمثل الملك « سِخِمْ ـ خِتْ » وهو يصرع أعداءه فى وضع طقسى تقليدى ظهر فى الفن المصرى منذ العصر المبكر [انظر الصورتين ٣٤ ، ٥٥] .

• تصوير: جون فريمان .

الصورة (٥٥)

حلية من العاج كانت تستخدم لربط فردتى الصندل الخاص بالملك « دِنْ » من ملوك الأسرة الأولى [٣٠٠٠ ق م] . ويظهر فيها الملك وهو يؤدب بدوياً . وتظهر كتابة هيروجليفية معناها « تأديب الشرق لأول مرة » . وكانت هذه الطريقة البدائية الأولى لذكر السنة أو التاريخ الذى وقع فيه حادث معين .

• محفوظة بالمتحف البريطانى . والصورة بإذن خاص من أمناء المتحف .